الحمد لله العظيم الجبار يُعز من يشاء بطاعته ، ويُذل من يشاء بمعصيته ، أحمده كفانا أنفسنا وشرورها وأرشدنا طريق هدايته، وأشكره على تتابع نعمه وتباعد نقمه، وأشهد أن لا إله إلا الله واحدٌ في ألوهيته وربوبيته، متفردٌ ومُتنزهٌ في أسمائه وصفاته، جل عن الأشباه والأمثال والنظائر والأنداد ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، خير من خاف ورجى، مرشد الناس لطريق أولي الحجا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين،

أما بعد: فأُوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي النجاة من كل درك وحرج، والأمن يوم الخوف من اللُجج [1] (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) (٢) (وَيُنَجِّي اللّهُ الّذِينَ اتّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسّهُمُ السّوَءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [3]

أيها المسلمون : انتشرت في السماء سُحب السواد، وغطى العيون الضباب، فصار الفجر متأخر، والليل مُتقدم، فسادَ الكون الظلام ، وسُوِّدَ الطَّغَام واللئِامُ، وعُصي الملك العلام، وتيبست المهج، وتعطلت المُقل، ونامت الخشية، وسادت السطوة، وتسلط سُراق القلوب وخطفة العقول على الأرواح، فأفرغوها وأفسدوها، فأصبحت على عروشها خاوية، حتى تهيأت للانغماس في الفانية ، وللحرام جالبة ، ونُسي الجبار، وعُصي القهار، فحلَّت الْمَثُلاَت والعقوبات، فيضانات وانهيارات، وإفلاس وأسقام وآهات، فحُصدت الويلات، وتناست القلوب أوتاد الثبات.

أيها المؤمنون : إنَّ حياة القلوب بطاعة الله وذكره، وإنَّ أمنَ الأرواح وراحتَها؛ المراقبة والخوف والخشية من الله عز وجل فبها تُستدرَّ النعم وبضدها تحل النقم، ولنعلم أن الخوف والخشية من الله عبادةٌ، لا تُصرف إلا لله سبحانه وتعالى (**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**)[4] ، و قال : (**فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**) .[5]

أيها الموحدون : إن الخشية تألّم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من

---

(١) قال ابن سيده في المخصص (3 / 14) لجة البحر – حيث لا ترى أرضاً ولا جبلا والجمع اللجج ولجج القوم وألجوا – دخلوا في اللجة وبحر لجي ولجاج – واسع اللجة وقد التج – اختلطت أمواجه وفي الحديث (من ركب البحر إذا التج فقد برئت منه الذمة) وفي حديث آخر (فلا يلومن إلا نفسه) غيره عمي الموج بالفذى عمياً .

(٢) سورة البقرة آية : 281

(٣) سورة **الزمر** ، آية : **61** .

(٤) سورة آل عمران ، آية : 175.

(٥) سورة البقرة، آية : 151.

العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته وخشية الأنبياء من هذا القبيل [٦] و الخوف: هو توقع حلول مكروه أو فوات محبوب [٧] . **وقيل** الخوف: وجل القلب من عذاب الله [٨].

أيها الأحبة : كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أتقى الناس لربه وأشدهم خوفا مع أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بنا معاشر المقصرين .

ولنعلم عباد الله أن الرهبة : الخوف المثمر للهرب من المخوف ، والخشوع : الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي ، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة : { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [٩] .

الخشية ، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه ، قال الله تعالى : { فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } [١٠] [١١] . وكل هذه الأنواع عبادة لله أمر بها وأوجبها على الناس فمن لزمها نجح وأفلح ومن تركها خاب وخسر ؛لذا مدح أهل **الخوف** وأثنى عليهم فقال : { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ }{ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ }{ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ }{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }{ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } [١٢] . وفي سنن الترمذي ومسند أحمد « عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قلت يا رسول الله : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق ؟ قال : " لا ، يا ابنة الصديق ، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه " [١٣].

الخائفون من الله دارهم الجنة{ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ } [١٤]، الحزن: يعني: الخوف [١٥]، وذلك هو المذكور في هذه الآية، { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [١٦].الخائفون أولياء الله وأحباؤه

---

(٦) التعريفات للجرجاني (1 / 133)

(٧) التعريفات للجرجاني(1 / 137)

(٨) شرح العقيدة الطحاوية (3 / 40)

(٩) سورة الأنبياء ، آية : 90

(١٠) سورة البقرة آية : 150

(١١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – (1 / 40)

(١٢) سورة المؤمنو،آية : 57 – 61

(١٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – (1 / 40)

(١٤) سورة فاطر آية :34

قوله تعالى : (فلا تخشوهم). قال بعضهم : ذكر الخشية هنا و لم يذكر الخوف ، لأن الخشية حذر من أمر قد وقع ، والخوف حذر من أمر لم يقع. والذي تدل عليه اللغة والاستعمال أن الخشية والخوف مترادفان ، وقال تعالى : {فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ} ، كما قال هنا : {فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى} [١٧].

أيها المتقون : تأملوا حال السلف كيف عرفوا الله وخافوه حق الخوف عرفوا قدرته فقدروه حق قدره فقاموا في ليلهم خائفين وأصبحوا في نارهم وجلين ففازوا بعليين .

قال عمر بن الخطاب: إن لله عبادا يميتون الباطل بهجره ويحيون الحق بذكره رغبوا فرُعبوا ورهبوا فرُهبوا خافوا فلا يأمنون أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا فخلطوه بما لم يزايلوه أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم الحياة عليهم نعمة والموت لهم كرامة فزوجوا الحور العين وأخدموا الولدان المخلدين [١٨] .

قال الحسن : إن المؤمن يصبح حزينا ويمسي حزينا ولا يسعه غير ذلك لأنه بين مخافتين بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك

وقال الحسن: يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه [١٩] . قيل لفاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر ما ترين بدو مرض عمر الذي مات فيه فقالت أرى جل ذلك أو بدوه الخوف [٢٠] . قال زياد النميري: منتهى الخوف إجلال الله عند مقام السوءات و منتهى الرجاء قال تأمل الله على كل الحالات [٢١] .

وعن سفيان في قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين)[٢٢] قال الخوف الدائم في القلب [٢٣] .

وقال حاتم الأصم : أصل الطاعة ثلاثة أشياء الخوف والرجاء والحسب وأصل المعصية ثلاثة أشياء

---

(١٥) شرح العقيدة الطحاوية - (11 / 49)

(١٦) سورة يونس، آية:62

(١٧) تفسير البحر المحيط (1 / 385)

(١٨) حلية الأولياء -(1 / 55)

(١٩) حلية الأولياء - (2 / 132)

(٢٠) حلية الأولياء - (5 / 315)

(٢١) حلية الأولياء - (6 / 160)

(٢٢) سورة الأنبياء، آية : 90.

(٢٣) حلية الأولياء - (7 / 77)

الكبر والحرص والحسد وقال حاتم المنافق ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالشدة وينفق لله خالصا في الطاعة [٢٤].

قال الفضيل : الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحا فاذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف يقول إذا كان في صحته محسنا عظم رجاؤه عند الموت وحسن ظنه إذا كان في صحته مسيئا ساء ظنه عند الموت و لم يعظم رجاؤه [٢٥]. **وقال الفضيل بن عياض** :كل حزن يبلى إلا حزن التائب [٢٦] . **وقال أبو سليمان** : رد سبيل العجب بمعرفة النفس وتخلص إلى إجماع القلب بقلة الخطأ وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف واستجلب نور القلب بدوام الحزن والتمس باب الحزن بدوام الفكرة والتمس وجوه الفكرة في الخلوات [٢٧] .

وقال أحم بن عاصم الأنطاكي : أنفع اليقين ما عظم في عينك ما به قد أيقنت وصغر في عينك ما دون ذلك وأثبت الخوف ما حجزك عن المعاصي وأطال منك الحزن على ما قد فات وألزمك الفكر في بقية عمرك وخاتمة أمرك وأنفع الرجاء ما سهل عليك العمل لإدراك ما ترجو وألزم الحق إنصافك الناس من نفسك وقبولك الحق ممن هو دونك وأنفع الصدق أن تقر لله بعيوب نفسك وأنفع الإخلاص ما نفى عنك الرياء والتزين وأنفع الحياء أن تستحي أن تسأله ما تحب وتأتي ما يكره وأنفع الشكر أن تعرف منه ما ستر عليك من مساويك فلم يطلع أحدا من المخلوقين عليك [٢٨] .

وقال ذو النون : علامات الخوف الورع عن ا لشبهات بملاحظة الوعيد وحفظ اللسان مراقبة للتعظيم ودواء الكمد إشفاقا من غضب الحليم وثلاثة من أعمال الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤيتهم في الأعمال نظرا إلى الله واقتضاء ثواب [٢٩] .

---

(٢٤) حلية الأولياء - (8 / 79)

(٢٥) حلية الأولياء - (8 / 89)

(٢٦) حلية الأولياء - (8 / 101)

(٢٧) حلية الأولياء - (9 / 266)

(٢٨) حلية الأولياء - (9 / 282)

(٢٩) حلية الأولياء - (9 / 361)